



تعلوب موسيقاراً

بقلم : عبد الحميد عبد المقصود

بريشة : عبد الشافي سيد



الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطباعة والنشر والتوزيع
10 - 06-8888 - 88888888
فلسطين 1947

تَوَهُمُ تَغْلُوبُ نَفْسَهُ مُوسِيقَارًا عَظِيمًا مُوْهُوبًا ، وَعَاشَ فِي هَذَا
الْوَهْمِ عِدَّةَ أَشْهُرٍ ، بَيْنَمَا هُوَ فِي الْوَاقِعِ غَبِيٌّ شَدِيدُ الْغَبَاءِ .. وَلِذَلِكَ
اشْتَرَى نَائِيًا ، وَأَخَذَ يَغْرِفُ عَلَيْهِ فِي كُلِّ مَكَانٍ حَتَّى أَرْعَجَ الْجَمِيعَ ..
فَعِنْدَمَا كَانَ يَجْلِسُ خَارِجَ مَنْزِلِهِ ، وَيَغْرِفُ عَلَى النَّايِ الْحَانَةَ
الْمُنْفَرَّةَ ، كَانَتِ الْقِطَطُ تَمُوءُ ، وَالْكِلَابُ تَغْوِي بِشِدَّةٍ ، وَكَانَ النَّاسُ
يَهْرَبُونَ فِي كُلِّ مَكَانٍ .. وَبِرَغْمِ ذَلِكَ ، فَإِنَّهُ
كَانَ يَتَوَهُمُ نَفْسَهُ أَكْثَمَ عَارِفٍ عَلَى النَّايِ ..



وَبِرْغَمْ هَذَا الْإِدْعَاءِ الْكَاذِبِ لِحُبِّ الْفَنِّ وَالْمُوسِيقَى ،
فَإِنْ تَغْلُوبًا كَانَ بَخِيلًا جَشِعًا فِي جَمْعِ الْأَمْوَالِ
وَتَكْدِيسِهَا بِالطَّرُقِ الْمَشْرُوعَةِ ، وَغَيْرِ الْمَشْرُوعَةِ ..
وَذَاتَ يَوْمٍ اسْتَوَلَى تَغْلُوبٌ عَلَى صُنْدُوقِ كَبِيرٍ مَلَى
بِالْمُجَوَهَرَاتِ ، كَانَ يَمْتَلِكُهُ أَحَدُ الثَّجَّارِ ، وَعَجَزَ التَّاجِرُ
عَنْ إِثْبَاتِ مِلْكِيَّتِهِ لِلصُّنْدُوقِ ، بِكُلِّ الطَّرُقِ وَالْوَسَائِلِ ،
فَجَلَسَ عَلَى رَأْسِ الطَّرِيقِ يَبْكِي حَزِينًا ..



وَذَاتَ صَبَاحٍ كَانَ ارْتُوبُ يَرْكَبُ حِصَانَهُ ، وَيَنْطَلِقُ بِهِ
فِي الْخَلَاءِ ، فَرَأَى تَاجِرَ الْمُجَوَّهَرَاتِ جَالِسًا يَبْكِي عَلَى
مَالِهِ الَّذِي ضَاعَ ، فَاقْتَرَبَ مِنْهُ ، حَتَّى وَقَفَ بِجَوَارِهِ ،
وَقَالَ لَهُ :

- مَا لِي أَرَاكَ حَزِينًا مَهْمُومًا يَا صَدِيقِي ؟ هَلْ تَوَقَّعْتَ
الشَّمْسُ عَنْ إِرْسَالِ دِفْئِهَا إِلَى الْأَرْضِ ؟ أَمْ كَفَّتِ الْأَرْضُ عَنْ
إِخْرَاجِ الزَّرْعِ ؟
فَقَالَ التَّاجِرُ :

- لَقَدْ سَرَقَ أَحَدُهُمْ كُلَّ ثَرَوَتِي مِنَ الْمُجَوَّهَرَاتِ ، وَرَفَضَ
أَنْ يُعِيدَهَا إِلَيَّ ..



فَتَبَسَّمَ ارْتُوبُ وَسَأَلَهُ :

- وَمَنْ الَّذِي اسْتَوَلَى عَلَى مُجَوَهَرَاتِكَ ، أَيُّهَا التَّاجِرُ الطَّيِّبُ !؟

فَأَجَابَهُ التَّاجِرُ : تَغْلُوبُ الْجَشَعُ ..

فَضَحِكَ ارْتُوبُ طَوِيلًا ، وَقَالَ لَهُ :

- طَالَمَا أَنَّ صُنْدُوقَ مُجَوَهَرَاتِكَ قَدْ وَقَعَ فِي يَدِ تَغْلُوبِ الْجَشَعِ ،

فَكُنْ وَاثِقًا بِأَنَّنِي سَوْفَ أُعِيدُهُ إِلَيْكَ ..

اعْتَمِدْ عَلَى اللَّهِ وَعَلَى ..



وَتَرَكَ اِرْنُوبُ التَّاجِرَ فِي مَكَانِهِ ، ثُمَّ قَادَ حِصَانَهُ مُتَوَجِّهًا
إِلَى مَنْزِلِ تَعْلُوبٍ ، وَطَرَقَ بَابَهُ بِشِدَّةٍ ، فَلَمَّا فَتَحَ تَعْلُوبُ
الْبَابَ وَرَأَهُ كَثُرَ عَنْ أَنْيَابِهِ وَزَامَ ، ثُمَّ قَالَ :
- مَا الَّذِي جَاءَ بِكَ إِلَى مَنْزِلِي أَيُّهَا الصَّدِيقُ غَيْرُ الْمَرْغُوبِ

فِي صَدَاقَتِهِ ١٩

فَقَالَ اِرْنُوبُ بِلَهْجَةٍ وَدُودٍ ، تَحْمِلُ الْكَثِيرَ مِنَ الرَّجَاءِ :
- جِئْتُكَ فِي أَمْرٍ خَطِيرٍ ، وَارْجُو أَنْ تُلَبِّيَنِي لِي ..



زَادَتْ تَكْثِيرَهُ تَغْلُوبٍ عَنْ ذِي قَبْلِ ، وَقَالَ لَهُ :
- أَيُّ أَمْرِ خَطِيرٍ يَا أَرْنُوبُ ؟
فَقَالَ أَرْنُوبُ :
- سَمِعْتُ أَنَّكَ تَعْرِفُ عَلَى النَّأْيِ عَرْفًا رَائِعًا ..
فَانْشَرَحَ صَدْرُ تَغْلُوبٍ ، وَقَالَ مُتَبَاهِيًا :
- هَذَا صَحِيحٌ ، فَأَنَا أَعْظَمُ مُوسِيقَارٍ ، وَأَعْظَمُ عَارِفٍ عَلَى النَّأْيِ .. وَ....



فَقَاطَعَةُ أَرْنُوبُ مَادِحًا :
- وَلِهَذَا جِئْتُ أَرْجُوكَ أَنْ تَعْرِفَ لِي قَلِيلًا عَلَى النَّأْيِ ،
فَأَنَا أَحِبُّ الْإِسْتِمَاعَ إِلَى عَرْفِكَ ..
فَانْتَشَى وَجْهَهُ تَغْلُوبٌ بِالْفَرَحِ وَقَالَ لَهُ :
- أَنْتَ ذَكِيٌّ جِدًّا يَا أَرْنُوبُ ، طَالَمَا أَنْكَ تُحِبُّ الْإِسْتِمَاعَ إِلَى
الْعَارِفِينَ الْمَوْهُوبِينَ أَمْثَالِي .. تَفْضَلُ بِالِدَاخِلِ يَا أَخِي
لِكَيْ تَسْتَمْتَعَ بِعَرْفِي الرَّائِعِ ..

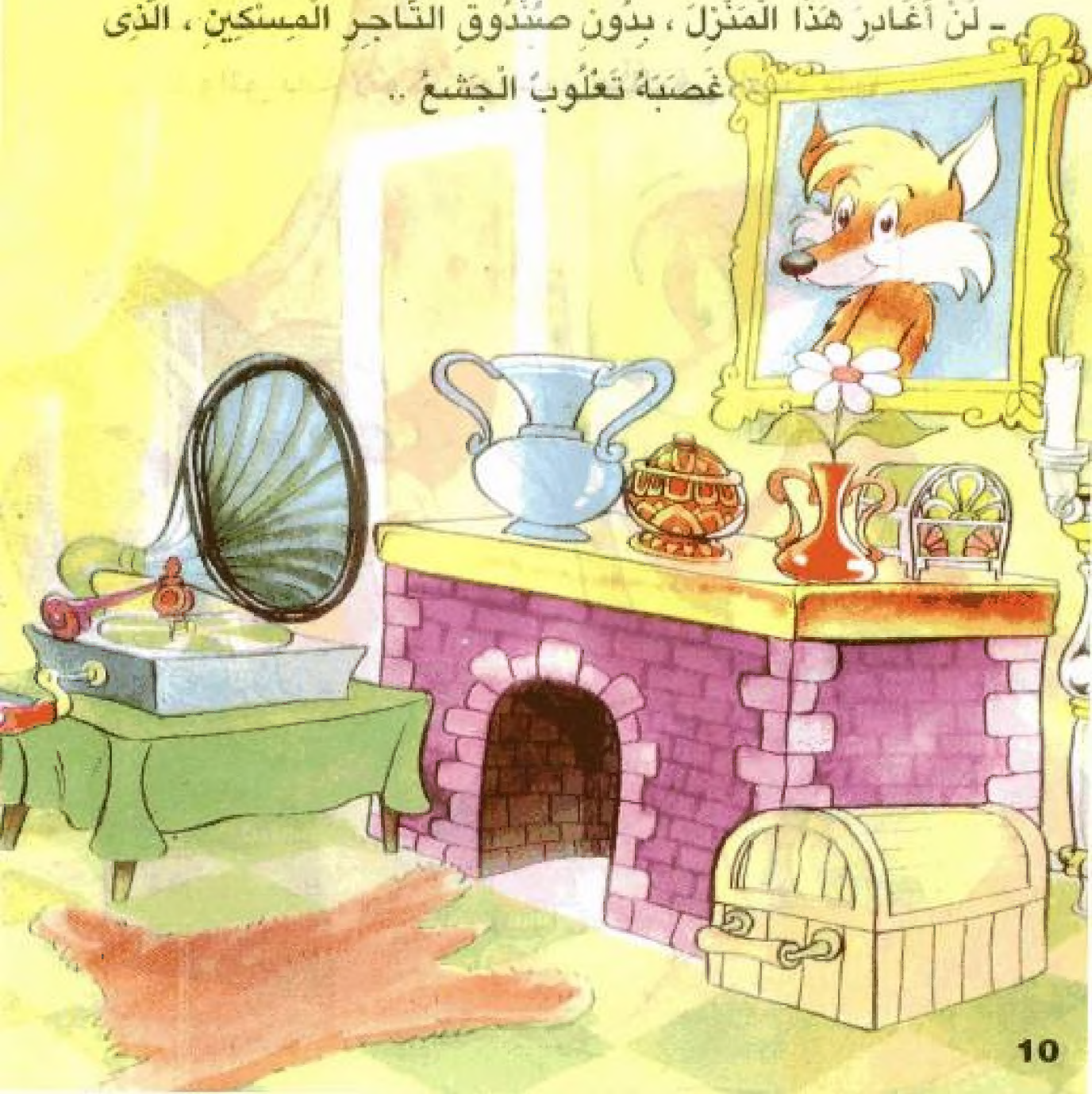


وَقَادَهُ تَعْلُوبٌ إِلَى دَاخِلِ الْمَنْزِلِ ، فَأَجْلَسَهُ فِي أَفْضَلِ مَقْعَدٍ ، ثُمَّ
أَحْضَرَ الشَّايَ ، وَقَبْلَ أَنْ يَبْدَأَ الْعَرْفَ قَالَ لَارْنُوبُ :
- فَلْتَسْتَمِعِ الْآنَ إِلَى عَرْفِي ، وَلْتَحْكَمْ عَلَيْهِ بِنَفْسِكَ ، وَلْتَقُلْ لِي
إِذَا كَانَ هُنَاكَ مُوسِيقَارٌ يُدَانِينِي فِي الْعَرْفِ ..
فَقَالَ أَرْنُوبُ :
- أَنَا وَاثِقٌ بِأَنَّهُ لَايُوجَدُ مُوسِيقَارٌ مِثْلَكَ فِي الدُّنْيَا كُلِّهَا ..



وَبَيْنَمَا كَانَ تَغْلُوبٌ مَشْغُولًا بِالْحَدِيثِ عَنْ نَفْسِهِ ، وَعَنْ مَوَاهِبِهِ
الْفَنِيَّةِ الْخَارِقَةِ ، كَانَ ارْتُوبٌ مَشْغُولًا بِتَفْحُصِ أَرْجَاءِ الْمَنْزِلِ ، بَحْثًا
عَنْ صِنْدُوقِ الْمُجَوَهَّرَاتِ ، حَتَّى عَثَرَ عَلَيْهِ أَخِيرًا مَوْضُوعًا فِي
رُكْنِ الْمَنْزِلِ بَيْنَ التَّحَفِ وَالْأَشْيَاءِ الثَّمِينَةِ ، فَفَرِحَ بِذَلِكَ فَرَحًا كَبِيرًا ،
وَقَالَ فِي نَفْسِهِ :

- لَنْ أَغَادِرَ هَذَا الْمَنْزِلَ ، بِدُونِ صِنْدُوقِ التَّاجِرِ الْمِسْكِينِ ، الَّذِي
غَضِبَهُ تَغْلُوبٌ الْجَشَعُ ..



وَبَدَأَ تَعْلُوبُ عَرْفَهُ عَلَى النَّأْيِ ، فَأَخَذَ يَنْفُخُ فِيهِ بِكُلِّ مَا أُوتِيَ مِنْ
قُوَّةٍ . وَأَخَذَ النَّأْيُ يُصْنِدُ صَنْدِيرًا مُرْعِجًا ، فَهَرَبَ النَّاسُ مِنْ
بَيُوتِهِمْ . وَصَاعَتِ الْقِطَطُ ، بَيْنَمَا أَخَذَتِ الْكَلَابُ تَعْوِي بِشِدَّةٍ
وَنُظَاهِرَ أَرْنُوبَ بِالْإِنْصَاتِ إِلَى ذَلِكَ الْعَرْفِ الرَّائِعِ ، الَّذِي لَمْ يَسْتَمِعْ
إِلَى مِثْلِهِ مِنْ قَبْلُ ..

وَبَعْدَ فِتْرَةٍ تَوَقَّفَ تَعْلُوبُ عَنِ الْعَرْفِ ، وَصَالَ عَلَى أَرْنُوبٍ قَائِلًا :
- هَيْه .. مَا رَأَيْتُكَ فِي هَذَا الْعَرْفِ الرَّائِعِ ؟



فَقَالَ أَرْثُوبٌ مُتَظَاهِرًا بِالْإِعْجَابِ الشَّدِيدِ :

- عَزِيزِي تَعْلُوِيَا ، لَا أَكْذِبُ عَلَيْكَ ، إِذَا قُلْتُ لَكَ : إِنِّي عَبْدُ مَا كُنْتُ
أَنْصَبْتُ إِلَى عَرْفِكَ الْحَالِمِ ، نَسِيتُ ثَمَامًا أَنْبَى مَارَلْتُ عَلَى الْأَرْضِ ،
وَحَيَّلَ إِلَيَّ أَنْبَى أَحْلَقَ فِي الْفَضَاءِ ، بَلَا أَجْنَحَةَ .. أَنْتَ حَقًّا
مُوسِيقَارٌ لَامْتِثِيلٌ لَهُ ..

فَمَسَحَ تَعْلُوبٌ عَيْنَيْهِ مِنَ التَّأَثُّرِ ، وَقَالَ لَهُ :

- إِنَّ إِعْجَابِي يَزْدَادُ بِكَ بِاسْتِمْرَارٍ يَا أَرْثُوبُ ، وَقَدْ غَفَرْتُ لَكَ
مَقَالِيكَ الْقَدِيمَةَ مَعِي ..



فَقَالَ أَرْنُوبُ : أَشْكُرُكَ يَا صَدِيقِي الْقَدِيمَ ، وَلَكِنْ لَا تَغْضَبْ مِنِّي إِذَا
قُلْتُ لَكَ : إِنِّي كُنْتُ أَعْرِفُ شَخْصًا يَعْرِفُ أَفْضَلَ مِنْكَ ..
فَنَظَرَ إِلَيْهِ تَعْلُوبُ بِغَضَبٍ ، وَقَالَ لَهُ :
- وَبِمَاذَا كَانَ هَذَا الْعَارِفُ يَتَمَيَّزُ عَلَى يَا صَدِيقِي ؟
فَقَالَ أَرْنُوبُ : كَانَ هَذَا الْعَارِفُ يَسْتَطِيعُ الْعَرْفَ عَلَى نَايِهِ ثَلَاثَ
سَاعَاتٍ ، وَهُوَ مُغْمَضُ الْعَيْنَيْنِ ..



فَضَحِكَ تَعْلُوبٌ بِشِدَّةٍ ، وَقَالَ لَهُ :

- أَنَا اسْتَطِيعُ أَنْ أَعْرِفَ عَلَى النَّأْيِ لِمُدَّةِ خَمْسِ سَاعَاتٍ مُتَوَاصِلَةٍ ،

وَأَنَا مُغْمَضُ الْعَيْنَيْنِ ، وَدُونَ أَنْ أَنْظُرَ إِلَى أَصَابِعِي ..

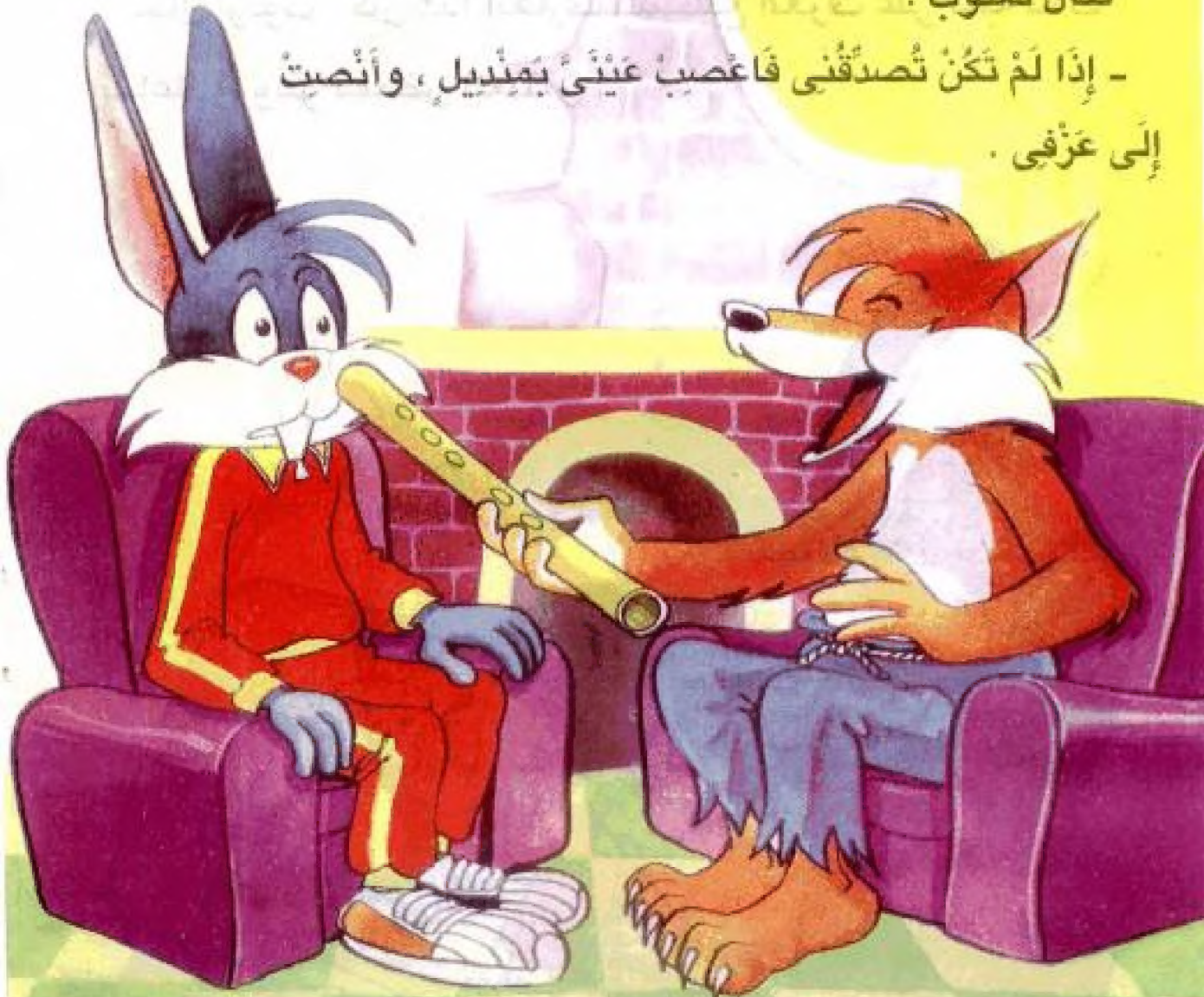
فَقَالَ لَهُ ارْتُوبُ بِمَكْرٍ :

- أَنَا لَا أَصَدِّقُ ذَلِكَ يَا صَدِيقِي ..

فَقَالَ تَعْلُوبٌ :

- إِذَا لَمْ تَكُنْ تُصَدِّقُنِي فَأَعْصِبْ عَيْنَيَّ بِمِثْدِيلٍ ، وَأَنْصِتْ

إِلَى عَرَفِي .



وَلَمْ يَتَرَدَّدْ أَرْثُوبٌ طَوِيلًا ، بَلْ سَارَعَ بِإِخْضَارٍ مِندِيلٍ ،
وَعَصَبَ عَيْنَيْ تَغْلُوبٍ بِشِدَّةٍ ، حَتَّى لَمْ يَعُدْ يَرَى شَيْئًا ..
وَعَاوَدَ تَغْلُوبُ الْعَرْفَ هَذِهِ الْمَرَّةَ أَقْوَى مِنَ السَّابِقِ ، فَاسْتَمَرَ مُوَاءُ
الْقِطَطِ ، وَعَوَاءُ الْكِلَابِ ، وَابْتَعَدَ النَّاسُ أَكْثَرَ عَنْ مَنَازِلِهِمْ مِنْ هَوْلِ
الضُّجِيجِ .

وَانْتَهَزَ أَرْثُوبُ الْفُرْصَةَ السَّانِحَةَ ، فَحَمَلَ صُنْدُوقَ

الْمُجَوْهَرَاتِ ، وَوَضَعَهُ فَوْقَ سَرَجِ حِصَانِهِ ، وَطَارَ إِلَى
حَيْثُ يَنْتَظِرُ التَّاجِرُ سَعِيدُ الْحَظِّ ،
فَسَلَّمَهُ إِيَّاهُ ..



أَمَا تَعْلُوبُ فَقَدْ ظَلَّ يَعْرِفُ طَوَالَ اللَّيْلِ ، حَتَّى هَدَّهَ التَّعَبُ ،
 فَتَوَقَّفَ عَنِ الْعَرْفِ مُخَاطِبًا ارْتُوبًا الَّذِي ظَنَّهُ مَازَالَ جَالِسًا يُنْصِتُ
 إِلَى عَرْفِهِ ، وَعِنْدَمَا رَفَعَ الْمِنْدِيلَ عَنْ عَيْنَيْهِ لَمْ يَجِدْهُ ، وَلَمْ يَجِدْ
 صُنْدُوقَ الْمُجَوَاهِرَاتِ ، فَعَرَفَ أَنَّهُ قَدْ خَدَعَهُ ، وَتَذَكَّرَ أَنَّهُ كَانَ قَدْ
 وَضَعَ كُلَّ ثَرَوَاتِهِ مِنَ النُّقُودِ مَعَ الْمُجَوَاهِرَاتِ ، فَأَخَذَ يَنْدُبُ حَظَّهُ ،
 وَتَأَكَّدَ أَنَّ عَاقِبَةَ الطَّمَعِ وَخِيَمَةٌ ، فَهَلْ سَيَتَعَلَّمُ مِنْ ذَلِكَ دَرْسًا ،
 وَيَكْفُ عَنْ طَمَعِهِ وَجَشَعِهِ !؟

(تَمَّت)

